الفقّارات : نظام و آلية توزيع المياه الجوفية

أ. قندوسي سعدية

جامعة الاغــواط

الملخص :

حفاظا على تراثنا الحضاري و تمجيدا لعبقرية أجدادنا القدماء حاولنا في هذا المقال تسليط الضوء على إبداع قديم كان و لازال مصدر عيش لسكان القصور بمنطقة أدرار يتمثل في " الفقارات " التي تعد آلية قديمة في توزيع الثروة المائية بل نظاما اجتماعيا ساهم كثيرا في إرساء مبادئ و قيم من خلال خلق قوانين و اتفاقيات تضمن لكل ذي حق حقه ، محافظة على التوازن العام داخل المجتمع .

Summary:

In order to preserve our cultural heritage and the glorification of the genius of our ancestors ancient tried in this article to highlight the creativity of Old was and still live source for residents of palaces region of Adrar is "Alfaqarat" which is an ancient mechanism in the water distribution of wealth but social system contributed greatly to the establishment of principles and values through the creation of laws and ensure each his right, maintain a general balance within the community agreements.

مقدمة:

تعد الفقّارات نظاما و آلية في توزيع المياه الجوفية في الصحراء الجزائرية ، وهو نظام قديم اختلفت الروايات في أصله و مصدره ، رغم وجود ما يشبهه في مناطق صحراوية أخرى كإيران و المغرب و باكستان و أفغانستان و أمريكا اللاتينية و في اسبانيا و الصين ، لكن يكمن الاختلاف في طريقة التنظيم و التسيير و التأثير كما هو عليه في مجتمع توات بمنطقة أدرار بحيث ساهم و بشكل كبير في إحداث توازن السكان و انتشارهم داخل الإقليم ، ومن ثم الاستقرار و الاستمرارية و العيش وسط ظروف صحراوية جد قاسية ، كما كان لهذا النظام الأثر البالغ في زرع روح التعاون و التفاهم ، وغرس مبادئ العدالة و المساواة بين أفراد المجتمع ، ووضع اللّبنات الأولى في سياسة الترشيد و العقلانية في توزيع و تسيير الثروة الطبيعية التي منَّ الله سبحانه و تعالى على عباده، ألا وهي ثروة " الماء" العنصر الأساسي للحياة . وفقا لقوله تعالى " **وَجَعَلْنَا مِنَ الْماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...** " الأنبياء، الآية30.

تعريف الفقّارة

يقتضي الموضوع الوقوف عند مصطلح فقّارة " لتحديد أصل اشتقاق اللفظ " لغة " ومن ثم وضع تعريف لهذا المصطلح .

أولا : لقد اختلفت المصادر في أصل اشتقاق كلمة فقّارة ، حيث أن هذا اللفظ يدور حول عدة معان ، هناك من يرى أن الأصل اللغوي للفقّارة هو :

الفقر :أي أن إنشاء فقّارة يوقع أصحابها في الفقر نتيجة لتكاليف العمل بها"1 و هناك قول مضاد للأول" أي أنها تذهب الفقر" و هذا هو الأصل ،لأن الغنّي وقتها هو ذلك الذي يملك السهم الأكبر من الماء"2.

إلا أنه لم يرد في القاموس* مصطلح فقّارة بتشديد القاف كجمع أو مصدر للفعل فقر الذي هو ضد الغني (و هذا بفعل كثرة الأعمال و مشتقاتها التي قد تؤدي إلى الفقر) مع ملاحظة هنا أنه ورد في لسان العرب لفظ فقارة من غير تشديد بمعنى الفقر ، ولكنه لم يرد مشددا ، و معلوم أن العرب في تخفيفهم و تسهيلهم للنطق يميلون إلى تخفيف المشدد و لا إلى تشديد المخفف"3 .

و هذا الرأي يضعنا أمام الرأي القائل باشتقاقها من فقرات الظهر نظرا لتشابه تسلسل آبارها بفقرات العمود الفقري"4 .

و قيل أنها سميت بهذا الاسم لأنها تبدأ من أعلى نقطة أرضية ثم تنحدر إلى أسفل نقطة تسقي أرضها ، ولذلك فكلمة فقّارة مركبة من كلمتين " فوق " قارة" أي مكان مرتفع ، وتسمى أيضا (الأنفاق) لأنها تتكون من عدة آبار تربط بينهما أنفاق"5.

وقيل أيضا هي من التفقير ، بمعنى الحفر و لقد جاء هذا الرأي معتمدا في مخطوط نقل الرواه عن من أبدع قصور توات لصاحبه الشيخ سيدي محمد عمر بن محمد البداوي ، الأعلام للمراكشي ، الذي عرفها بأنها مادة فقارة ، الذي هو الفاء و القاء و الراء (فقر) جاء عند العرب بنفس المعنى الذي يحمله لفظ الفقّارة حتى يقول ابن منظور في لسانه " فقرت البئر إذا حفرتها لاستخراج مائها ، و الفقير : الآبار المجمعة الثلاث فما زادت ، و يواصل القول " وقيل هي آبار و ينفد بعضها إلى بعض و جمعه فقر "6.

و هناك من يرى أن أصل القاف هو الجيم ، ومنه أن الفقّارة أصلها الفجّارة ، و علّه هؤلاء أن الماء تفجر من الآبار و سال"7 ، غير أن هذا الرأي يبدوا بعيدا بعض الشيء .

وربما تتشكّل الكلمة من مقطعين و هما " فج " و " آرا" .

الفج : يعني الانفراج الموجود بين مرتفعين صغيرين .

أرا : نجد الكلمة تشبه كلمة الري في اللغة العربية ، ونفس الشيء بالنسبة للغة الفرنسية في فعل فهي مركبة مثل كلمة " تاراقا" و هي الساقية الأمازيغية مركبة من" تار""IRRIGUERابدون، و" ارا"و تعني الدلو ، و تعني مجتمعة السقي بدون دلو ، والملاحظ عند العارفين بالفقّارة أن طريقة حفر الفقّارة في بعض المناطق تأخذ بعين الاعتبار الفجوج المتواجدة بالهضاب القريبة من موقع الحفر ،

وهناك ما تتبع آثار مجرى الوديان العابرة للقصر مثل فقّاقير منطقة رقان بتوات و فقارة الزوي بمنطقة تدكنت و ربما تكون الفقّارة تعني من خلال هذه المقارنة " فج السقي "8 .

من أهم التعريفات الاصطلاحية للفقارة– تعريف الدكتور الأستاذ فرج محمود فرج الذي يقول فيه : "الفقارة تتشكل من مجموعة من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تتجمع بها المياه الجوفية وتسير مياه هذه الآبار في مجرى ذي فوهات لمسافات بعيدة حيث تنحدر ببطء عن طريق الانحدار التدريجي لهذا المجرى ، وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيه المياه يسمى (ماجن) ومنه تخرج القنوات تحمل المياه إلى بساتين أصحاب الفقارة، كل حسب نصيبه" 9.

أما الأستاذ بختاوي الحاج محمد فقدحدَّد الفقارة بأنها : " عبارة عن سلسلة من الآبار المترابطة يشرع فيها من جهة عالية نازلين بها إلى أن يصير الماء جاريا على وجه الأرض " 10 .

وجاء في دليل ولاية أدرار الذي أعدته جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بالولاية أن الفقارة " عبارة عن سلسلة من الآبار يتصل بعضها ببعض ، وتنحدر مياهها من مستوى أرضي عال إلى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة فيجري عليها منسوب ماء الفقارة" 11 .

و قد ورد في الباب الأول من المشروع التمهيدي لقانون الفقارة مايلي12:

تظهرالفقارة للعيان في شكل سلسلة آبار متصلة ببعضها في الأعماق تجري مياهها في اتجاه واحات النخيل من الشمال إلى الجنوب في الغالب تبدوا هذه التعاريف غير دقيقة في تعريف الفقارة ،بحيث اشتركت في كون الفقارة هي سلسلة من الآبار تمتد من أرض مرتفعة إلى أرض منخفضة ليصب الماء في منطقة المفروض تسمى القسرية و ليس الماجن .

يمكن إذن تعريف الفقّارة "على أنها مجموعة من الآبار متصلة ببعضها ، السطح القاعدي لكل منها ينخفض نسبيا عن سابقه ، فيكون في مجموعه سطحا مائلا نسبيا باتجاه الميل الأرضي بحيث يسمح للماء بالتجمع و الانسياب تحت تأثير الجاذبية الأرضية ، يكون الميل الأرضي للسطح أكبر من الميل الأرضي المكون من قواعد الآبار فيكونان مستقيمان غير متوازيان ، وهو ما يسمح بالتقائهما في نقطة ما ، هي مكان خروج مياه الفقّارة على سطح الأرض، و تتجه الفقارات في أغلبها في نفس الاتجاه .وعند اقتراب ماء الفقّارة من أراضي الزراعة يمر بآبار قريبة من سطح الأرض تسمى هذه الآبار " اغوسرو " ثم يليه " المجرا" وهو مكان يسير فيه الماء منخفضا يسمى في بعض المناطق (بأقوق) .

وبعد خروج ماء الفقّارة و سيلانه على سطح الأرض تنتهي بـ " القصري" أو " المقسم " وهو عبارة عن ممرات مستطيلة نحتت بعناية و حسابات على قطعة حجر مسطحة تسمح بتوزيع الماء حسب الحصص المطلوبة ، وتكون عملية التوزيع ، على شكل أسهم وذلك حسب مساهمة المالكين او العاملين الذين شاركوا في الحفر و استخراج المياه.ثم تصرف بعد ذلك بنزع " الصمامة " أو " الكرة "

من " انفيف عن طريق " القنطرة " أو " آبادو إلى " القمون " وهو مساحة زراعية صغيرة يراد سقيها ثم تستعمل الردة لسد الماء عن القمون المروي إلى الذي يليه"13 .

رسم توضيحي لعمل الفقارات

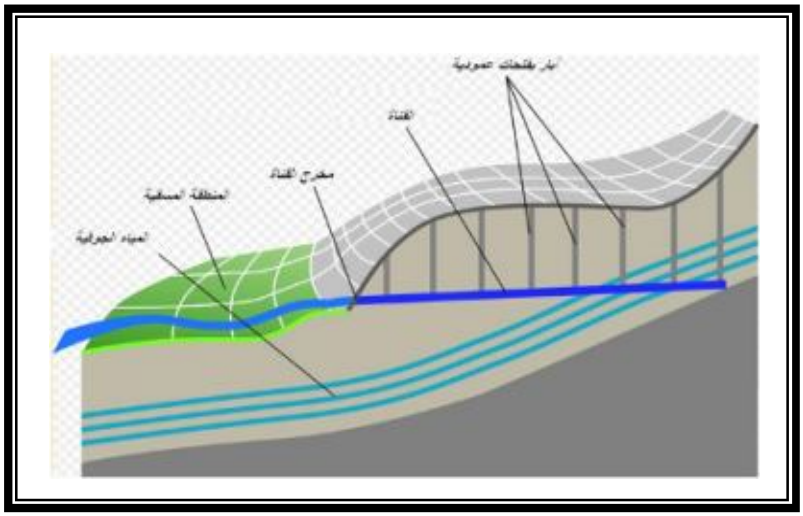

* **المصدر:** قسوم سعدي، تقنية السقي الادرارية العتيقة ،*20http//elfogara-adrar ;blogspot.com* *جوان2015 الساعة 00:00.*

ظهور الفقارات بمنطقة توات:

اختلفت الآراء حول تاريخ انشاء الفقارة ، فأرجع البعض بداية ظهور الفقارة إلى ما قبل الميلاد "فنجد أن المؤرخ هيرودوت (Herodote) يرجع ظهور نظام الفقارة واستعمالها في إيران إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، كما نجد في قصص بوليبPolybeلومات حول فقارات الفرس في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد"14.

و البعض يرجعها إلى عهد موسى بن عمران الذي تزامن مع فرعون ، و يقال أن أول من سمى الفقارة هم الأقباط ، اقتباسا من فكرة المياه التي كانت تجري تحت مساكن مصر في عهد فرعون حين هندسها هامان لفرعون "15

أما ظهور الفقاراتفي منطقة توات و قورارة و تيديكلت كان قبل بداية القرن العاشر الميلادي على يد اليهود و من بعدهم المسلمين الذين طوروا هذا النظام ."16

ولقد ساعد على وجود نظام الفقارة وانتشارها في اقليم توات الكمية الكبيرة من المياه الجوفية حيث ينتهي الاقليم بثلاث أودية تصب مياهها فيه لتغدي الفقاقير و الآبار بالمياه، وهذه الأودية هي واد أمقيدن و وادي المسعود و واد قاريت "17.

ويبدو أن كثيرا من الباحثين يرجعون نشأة الفقارة وظهورها في منطقة توات إلى اليهود، حيث يذكر الباحث ايشليي (J.C Echalier) عندما تكلم عن إحدى الفقارات الموجودة في منطقة تمنطيط أن "فقارة هنو بتمنطيط هي من إنجاز اليهود" وهي فرضية دعمت من طرف الباحث قوتي

(E.F.Gaitier) والذي كتب يقول:" في قورارة وفي كل مناطق توات المحاذية للشمال ، إنجازات الري الجميلة، (..)، قنوات المياه الباطنية الآبار الارتوازية ، ترجعها المصادر لليهود" ويضيف "بصمة الواحات هي فقاراتها(..) ، فقارة هنو بتمنطيط ، وكل الفقارات الميتة والموجودة بين زاوية سيدي البكري وبني تامر هي من إنجاز اليهود"18.

كما ترجع مصادر أخرى ظهور الفقارة في منطقة توات إلى غير اليهود حيث يذكر في مخطوط البسيط" أن أول إنسان حفر الفقارة في قصر تمنطيط بتوات هو الملك المنصور بن يوسف التاجغيت الذي لجأ إلى المنطقة خوفا من ملاحقة عدوه الملك المنصور بن سعيد، واستقرالملك المنصور بن يوسف بتمنطيط بعد أن كان ينوي التوجه إلى السودان، وعند وصوله إلى تمنطيط أطلق عليها اسم عربي "حاجب العين"، وشيد فيها بناء، وأحاطه بخندق، وحفر الفقارة بمساعدة سكان القصر وسماها "هنو". ويذكر نفس المصدرأن الفقارة انتشرت منذ ذلك الحين حتى بلغ تعدادها 360 فقارة في حوالي سنة 300 هجرية19".

أما القاضي سي محمد بن عبد الكريم البكراوي يقول في كتابه درة الأقلام :"إن زناتة فروا إلى توات بعد انهيار دولتهم في القرن الرابع الهجري العشر الميلادي و أنهم توجهوا صوب القبلة بعد أن قطعوا ثلاث عشرة رحلة من سلجماسة إلى أن نزلوا بأرض بودة و استقروا هناك و حفروا الآبار و استعملوا واد مسعود مرعا لمواشيهم ، فوجدوا أن المكان آمن يصلح السكن فسكنوا

و توطنوا توات، فالبربر هم أول من قطن توات في الالفية الأولى و عمروا بها لاسيما الفرع الزناتي منهم ، مثل بني عبد الواحد ، و بني مرداس ، و مصاب من بني مرين و ذلك قبل دخول الاسلام لبلاد المغرب بسنوات طويلة "20إذن فالبربر الزناتة هم أول من اسوطنباقليم توات و اختاروا النزول و الاستقرار بالمناطق القريبة من المنابع والوديان،و تذكر بعض المصادر انهم أول من خطط لتشييد القصور و الفقاقير.

البعد التنظيمي لتسيير الفقّارة :

التنظيم الإداري و التقني للفقّارة "21:

1- قسم التفجير و الصيانة و يمثله :

أ. الوقّاف : وهو المسؤول عن العمال أثناء عملهم و يكون من ذوي الخبرة بمختلف أوجه العمل بالفقّارة .

ب. الخبير : وهو الذي يعين مواضع العطب و يكشف مواضع الخلل في آبار الفقّارة و يوجه العمال إلى كيفية إصلاح الخلل سواء عند التوقف التام للفقّارة أو عند أعمال الصيانة العادية .

ج. الكّرار : وهو الذي يوجه العمال أثناء الصيانة العامة مثل نزع الآثرية و تنقية المجاري وهو أقل خبرة من الخبير .

د. النزّال : وهو الذي يقوم بمهمة ملأ التراب و الحجارة الموجودة في مجاري المياه في أوعية خاصة (قفاف) معدة لذلك .

هـ. الجبّاد : وهو الذي يجذب القفاف التي ملأها النزّال .

و. القطّاع : وهو الذي يحفر الآبار و يشق المسالك بينها و يكون من ذوي الخبرة العالمية بالمسالك و طبيعة الأراضي و تقنيات الحفر .

للفقارة نماذج متنوعة من الأعمال المأجورة نذكر منها ":22

1-الفرع أو لكراع : قد تبلغ الفقارة منتهى الارتفاع قبل الحصول على كمية الماء المرغوب فيها ، أو يصعب الحفر في الاتجاه المستقيم للفقارة فيضطر الخبير إلى توقيف الامتداد، فيخطط سلسلة آبار أخرى، وتتجه نحو أحد جانبي الفقارة تسمى " لكراع-

2-تابجوط : في بعض الأحيان يعترض العمال أثناء الحفر حجر صلب فيضطرون لفتح ثقب صغير بالحجرة المعترضة ينفذ منه الماء دون الأشخاص يسمى 'تابجوط'.

3-المخسور : وهو الأجر الذي يدفعه الملاك للعاملين على إصلاح أولف مثلا ، وتكون هذه العملية استثنائية عند حصول عطب بالفقارة.

2- قسم التسيير و التوزيع "23:

عندما يصل الماء إلى القسرية و هي مكان توزيعة بين ملاكه ، يتدخل فريق يقوم بمهمة التوزيع و التسيير و يمثله :

1- الكّيال : هو خبير متخصص يستعمل آلة خاصة تسمى " الحلافة " أو " الصيارة " أو " الشفقة " ، وهي عبارة عن صفيحة من النحاس أو من حديد تحتوي على ثقوب غير متساوية في ثلاثة صفوف ، وهي مضاعفات الوحدة و أجزائه فينصب هذه الآلة لمعرفة كمية ماء الفقارة و يحدد لكل مالك نصيبه الفعلي و يصبه في مجراه الخاص .

2- الحسّاب : وهو الذي يقوم بمهمة حساب المقادير و الأنصبة عند القيام بعملية الكيل نظرا لدقتها و صعوبة مصطلحاتها .

3- الشاهد : وهو الذي يمسك سجلات الفقّارة و يدون فيها كل تغيير بالزيادة و النقصان ، و ليس بالضرورة أن يحضر عمله الكيل و لكن لابد من حضور من يمثله ليدون نتائج عمليه الكيل من أجل تسجيلها في السجل الكبير (الزمام) .

تسجيل مقادير ماء الفقارة في الدفتر الخاص "24:

من الإجراءات التي تترك طابعها الاقتصادي في مجال توزيع مياه الفقارة، التجاء الملاكين ومنذ قديم الزمن إلى تسجيل مقادير المياه المستخرجة من الفقارة في سجل خاص يسمى الزمام أو الدفتر، وتتميز بعض الفقارات بأن لديها دفترين أحدهما كبير يحتوى الأرقام الأساسية الكبرى المتعلقة بكميات الماء التي تتوفر، عليها والآخر صغير وكأنه الكراس الذي يلجأ إليه في كل حساب أو في كل تعديل

من بيع وشراء وما شاكل ذلك من المعاملات التي تعرفها الفقارة.

وعموما فإن الوحدات التي نجدها مسجلة في دفاتر الفقارة بولاية أدرار لا تخرج عن المصطلحات التالية:

الماجل: وهي الوحدة التي تتم بواسطتها كل العمليات، وقد تجزأ إلى القراط وهو جزء من أربع وعشرين من الماجل، ويجزأ هو كذلك إلى أربع وعشرين جزء يسمى كل جزء قراط القراط وهكذا، وقد يأخذ الماجل اسما آخر حسب المناطق كالحبة أو الصبع.

قيراط نحاس: و يعتبر الوحدة الأساسية التي يقاس بها الماء بواسطة الحلافة أو الشققة، وقد يعبر عن قراط نحاس بقراط زريق .

ومن الفوائد الأساسية لتسجيل كميات الماء في زمام الفقارة، أنه المرجعية لفض كل نزاع يمكن أن يحدث عندما يصاب القسري بعطب يؤثر على الثقوب التي يحتويها لتوزيع المياه على أصحاب الفقارة.

ويلجأ إلى الزمام أيضا لإطلاع من يريد الاستثمار في الفقارة على كمية الماء الموجود بها، قبل أن يبدأ عمله باعتبار أن ما يتحصل عليه من زيادة ماء سيقسم نصفين نصف هو من نصيب المستثمر يفعل فيه ما شاء يبيعه أو يتملك بواسطته في الفقارة، ونصف يعطى للفقارة فيتوزع بالنسبة المعهودة على جميع الملاكين.

و إذا اضطر أرباب الفقّارة إلى بيع كمية من مائها بهدف صيانة الفقّارة فإنه يلجأ إلى زيادة عدد وهمي إلى الأصل يسمى بالنافوخ تحسب للمشتري دون أن يتغير العدد الأصلي"25 .

-التشريعات القانونية لتسيير الفقّارة و فض النّزاعات :

تعد الشريعة الإسلامية مصدرا رئيسيا من أهم المصادر القانونية التي تحكم سكان اقليم توات ، أما القضاة الذين كان يلجأ إليهم لفك النزاعات التي كانت تدور حول السكان كانوا هم أنفسهم الفقهاء و المشايخ، الذين وضعوا للفقارة تشريعا خاصا "وهو ما أوجد عند فقهاء المنطقة ما يعرف بفقه النوازل و خطوا في ذلك عشرات المخطوطات التي تضمنت أمورا و فتاوى خاصة بالفقّارة ، وأشهر هؤلاء الأعلام تحديدا الشيخ البكري (1113هـ) و الشيخ سيدي محمد بن أب (1160هـ) و الشيخ سيدي عبد الرحمن عومر التنلاني (1189هـ) و الشيخ الجنتوري (1160هـ) و الشيخ الزجلاوي (1212هـ) و الشيخ سيدي ضيف الله (ق13هـ) و الشيخ سيدي عبد الرحمن البلبالي ، ولكل واحد من هؤلاء الأعلام نوازل مخطوطة فيها العديد من المسائل الفقهية المتعلقة بنظام الفقّارة ،

و آلية توزيع مياههما بل إن البعض من هؤلاء الأعلام لم يكتف بهذا فقط بل راح يخصص مؤلفا بعينه للنزاع في الأمور المتعلقة بالسقي و الزرع و هو الشيخ سيدي محمد بن أب (1160هـ)

في مخطوطه" تحلية القرطاس في الكلام على مسألة الخمّاس26". واستفتي فقهاء المنطقة في كثير من قضايا النزاعات المرتبطة بشأن من شؤون الفقارة ، ومنهم الشيخ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي (ت 1828هـ) الذي أجاب عما وجه إليه من أسئلة وتضمنها كتابه الشهير "غنية المختصر"27

وواضح من خلال تلك الاجابات التي قدمها الشيخ أثر الشريعة الاسلامية كمرجع تستمد منه كل الاحكام لفض النزاع بين الناس.

بل تدعم القرارات الحديثة الصادرة عن الولاية هذا الموروث الثقافي حيا كان أو ميتا من خلال جملة من القرارات سارية المفعول إلى وقتنا الحالي جاء في بعض موادها مايلي28" :

المادة الثانية : يلزم احترام مسافة 200م على الاقل بين فقارة و فقارة مزمع انجازها .

المادة الثانية : يكون عمق الفقارة المنجزة يوازي عمق أقرب فقارة.

المادة السادسة : لا يجوز إقامة أي بناية سكنية بدون مراعاة المعطيات التقنية و في كل الحالات لا تقل مسافتها عن عشرة أمتار من محور الفقارة .

المادة التاسعة :تمنع إقامة المساحات الخضراء على ظهر الفقارة .

المادة العاشرة : يمنع رمي القاذورات بجانب أو داخل فوهات الفقارات .

المادة الثانية عشر :يشجع كل شخص أو جمعية تساهم بعمل من شأنه يعرف بالفقارة من الناحية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية .

أسباب حدوث النزاعات في نظام السقي بالفقّارة :

من بين الأسباب التي تؤدي إلى حدوث نزاع في نظام السقي بالفقّارة ما يلي"29 :

– النزاع عند الإخلال بشروط العمل المتفق على انجازه من طرف المستثمر في الفقّارة.

– الامتناع عن المشاركة في الصيانة بدنيا أو ماليا.

– التعدي على موزع المياه (القسرية) بتوسيع المجاري أو تضييقها وفق عملية غش معينة تسمى " الكرط " أو "الكشط".

– التعدي على خدمة الفقّارة بطرق مختلفة منها:

- البناء بقربها.
- إمداد قنوات صرف المياه بقربها أو صبه فيها .
- حفر آبار تقليدية بقربها .
- إحداث فقّارة أعمق من الفقّارة القديمة .
- التصرف في سجلات الفقّارة بالتغيير أو الشطب دون استناد إلى عملية كيل رسمية ثابتة".

و لإنشاء فقارة قريبة من أخرى لا بد من مراعاة بعض الأسس أهمها :

– عدم السماح يتجاوز عمق الفقّارة الأسبق و احترام المسافة المحدودة بين فقارتين و التي يجب أن تكون بمقدار متفق عليه حسب نوعية الأرضية .

و إذا حدث أن زاد عمق أبار الفقّارة المستحدثة يمكن أن يحدث نقص من ماء الفقّارة الأسبق ، وهنا أيضا يتدخل الخبير باتخاذ إجراءات عملية أشهرها أن يلقي بكمية من القطران في آخر بئر من الفقّارة الأولى و بعد مدة معينة يتذوق الفقّارة الجديدة ، فإذا وجد بها رائحة القطران يقوم بتجربة أخرى زيادة في التأكيد ، فيحسب و يقيد ماء الفقّارتين ثم يسد ماء الفقّارة الثانية و بعد مدة يعيد قياس ماء الفقّارة الأولى ، فإذا زاد ماؤها تأكد الخبير و الشهود من تطور الفقّارة الأسبق و تتخذ الإجراءات الضرورية""30 .

ومن المسائل التي يجدر الإشارة إليها في نزاعات الفقّارة مصطلح "الخراصة"و هو أن يستغل الفلاح حيزا من ماء شخص آخر و يعطيه أجرة سنوية مقابل ذلك الاستغلال، و هو اجتهاد من علماء المنطقة ألحقوه بالاحكام المنصوص عليها31"

نظام الخّراصة":

تعرف على أنها عبارة عن عقد اجتماعي يقع بين ذمة الخّراص و المخّرص له و المخّرص ، لأجل تخريص (كراء) كمية من حبات الماء (خراريب ، حصص) الماء الجاري في الفقّارة يعني كراء و استئجار كمية من الماء لمن لايملك حصص في الفقّارة من اجل سقي أرضه ، مقابل الحصول على كمية من المحصول الزراعي نهاية الموسم الزراعي ، بعد جني المنتوج ، يكون تمرا أو قمحا حسب ما هو متفق عليه بينهما كما و نوعا ، (و هو عبارة عن نظام اجتماعي هيدرولوجي ، ساد منذ نشأة الفقّارة ، و لا يزال يحافظ على انسجامه و كيانه مع إحداث بعض التغيرات في كيفيات و أساليب تواجده(32). بحيث يقوم الخراص بالاتجاه نحو مالك الماء ، طالبا منه تخريص كمية من الماء لبستانه أي الاستفادة من ملكيته ليتم الاتفاق على يوم محدد و مكان محدد و بحضور جماعة القصر ، ولأهمية هذا العقد في المجتمع القصوري كان لابد من أن يجري في زمان محدد وهو بعد صلاة العصر أو عند الظهيرة أما الفضاء الذي يتم فيه هذا العقد فهو مجلس الجماعة الذي يدعى " بالدكانة" ، وهو المكان المخصص بصفته المجلس الإداري لجماعة القصر.

يتم عقد الخراصة بحضور جماعة القصر و الإمام و الذي يحتفظ بالسجل الذي يدون فيه كل أنصبة المالكين في الفقّارة ، و يسجل العقد المبرم بين الطرفين في ورقة تسمى " الجريدة " تتضمن موقع و طريق سريان الماء مع تحديد البائع الأول و الأخير و بيان الاتجاهات التي تحيط بسريان الماء ، على أن يكون هناك سجلان، واحد لدى الإمام و الآخر لدى الشخص الذي يقوم بتوزيع الماء (الكيال) "(33).

و كثيرا ما تخرق بنود العقد بين المخرص له و المخرص ، فلا يستطيع هذا الأخير الالتزام بالاتفاقية لأسباب تؤدي إلى انكسار الخراصة نتيجة عوامل طبيعية كالجفاف أو الزوابع الرملية ، أو

بفعل إنساني أو حيواني ناتجة عن آفة الجراء أو ناتجة عن سقوط الفقّارة أو تخلي المرخص له عن العمل في البستان أو بموته ، فبغض النظر عن الأسباب المؤدية لذلك فإنكسار الخراصة لدى المخرص له ، تكبله بشروط إجحافية اتجاه المخرص في أعراف المجتمع القصوري و هي(34) :

1- أن يدفع ما يطلق عليه الأسمدة الطبيعية (الغبار) لمدة سنة للمخرص.

2- أن يدفع ماشيته للمخرص تذبح و تباع ليحصل المخرص على حقه.

3- أن يقوم بالعمل دون أجرة لمدة سنة لدى المخرص .

4- أن يدفع بأحد أبنائه إلى العمل لدى المخرص لمدة سنة .

و إن لم يستطع الاستيفاء بهذه الشروط ينفى من القصر بعد أن يجرد من بستانه

خاتمة

يعد الماء العنصر الأساسي الذي تبنى عليه حياة الشعوب و الأمم وهو المحرك الرئيسي لكل الأنشطة ، و على هذا الأساس لم يستقر الإنسان الأول في بقعة معينة ما لم تتوفر فيها مياه ، و إذا نفذت مصادر المياه ارتحل للبحث عن مناطق أخرى باحثا فيها عن الماء حتى يضمن بقاءه و استمرارية حياته ، وما اهتداؤه إلى طريقة لحفظ المياه الجوفية إلا عبقرية منه، و أسلوب الفقّارة من أهم أساليب تسيير الموارد المائية في الصحراء ، بل هو نظام اجتماعي حافظ طويلا على تماسك البناء الاجتماعي لما لها من أدوار و وظائف اجتماعية ، اقتصادية ، دينية ، و سياسية ، فهي ارث حضاري و معلم ثقافي و مورد اقتصادي و اجتماعي وجب الحفاظ عليها

و دعمها بمختلف الوسائل حتى لا ننسى عبقرية الإنسان الأول وننساق و بأعين مغمضة وراء تكنولوجيا الأخر.

*** قائمة المراجع :**

(1)-محمد باي بلعالم؛ الرحلة العلية إلى منطقة توات،دار هومة،2005 .

(2)-ميزوري محمد،اجتماعيات و تاريخ ،الفقارة ماضيا و حاضرا ، الجمعية التاريخية الثقافية، 1985.

(3)-ينظر لسان العرب لابن منظور ،باءالراء،فصل الفاء ،مادة فقر المجلد الخامس.

(4)-أحمد جعفري ،نظامالفقارة و آلية توزيع الماء في منطقة توات (ولاية أدرار)و أثره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الاقليم ، محاضرة مقدمة للملتقى الدولي التاسع: ماء و رهانات المستقبل ، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية ، ادرار.ص ص1-2

(5)-عبد المجيد قدي ، صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة ،(دط) (د ت)،ص51.

(6)-ميزوري محمد، مرجع سابق

(7)-أحمد جعفري ، مرجع سابق، ص2

(8)-أحمد جعفري ، نفس المرجع ، ص3

(9)–فرج محمود فرج،إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشرالميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977، ص55.

(10)–بختاوي الحاج محمد،نشأتفقاقير توات ، مجلة القبس ، الصادرة عن المديرية الفرعية للتكوين ، أدرار العدد،1979.10. ص 20

(11)–سودي عبد الحميد و الزايد محمد ،الفقارة في إقليم توات ، دراسة اقتصادية تمنطيط نموذجا ،مذكرة تخرج لنيل شهادة أستاذ تعليم ثانوي ، المدرسة العليا للأساتذة جامعة بوزريعة ، الجزائر ، 2007–2008ص16

(12)–نفس المرجع ، ص17

(13)مرزايا بلامة عائشة ، لعبودي عبد القادر ،الفقارة : تحديات الماضي و رهانات المستقبل ،محاضرة مقدمة للملتقى الدولي التاسع،الماء و رهانات المستقبل ، الجامعة الافريقية العقيد احمد دراية ، أدرار.ص4

(14)–سودي عبد الحميد ، زايدمحمد، مرجع سابق، ص20.

(15)–مرزايا بلامة عائشة ، لعبودي عبد القادر، مرجع سابق ، ص3.

(16)–سودي عبد الحميد و زايد محمد ، مرجع سابق ، ص20

(17)–ثياقة الصادق ، مرجع سابق ، ص ص1–2

(18)–سودي عبد الحميد و زايد محمد ، مرجع سابق ،ص21

(19)–نفس المرجع ، ص22.

(20) ثياقة الصادق ، مرجع سابق ، ص5

(21)محمد دباغ ، البعد التنظيمي و الاجتماعي في تسيير مياه الفقارات منطقة أدرار أنموذجا، محاضرة مقدمة للملتقى الدولي التاسع،الماء و رهانات المستقبل ، الجامعة الافريقية العقيد احمد دراية ، أدرار.ص2

(22)–سودي عبد الحميد و زايد محمد ، مرجع سابق ،ص ص79–80

(23)محمد دباغ ، مرجع سابق ،ص3

(24)–سودي عبد الحميد و زايد محمد، مرجع سابق ،ص70.

(25)–مرزايا بلامة عائشة ، لعبودي عبد القادر، مرجع سابق ، ص5.

(26)–أحمد جعفري ، مرجع سابق ، ص8

(27)–سودي عبد الحميد و زايد محمد، مرجع سابق ،ص42.

(28)قرار والي ولاية أدرار رقم 426 المتضمن تنظيم و حفظ و صيانة الفقارة ، الصادر بتاريخ 23 جوان 1996.

(29)–محمد دباغ ، مرجع سابق ، ص ص3–4.

(30)–مرزايا بلامة عائشة ، لعبودي عبد القادر، مرجع سابق ، ص9

(31)–محمد دباغ ، مرجع سابق ، ص4.

(32)مقدم مبروك ، تغير البنيات الزراعية في المجتمع التواتي من بداية القرن التاسع عشر 19–حتى نهاية القرن العشرين 20،محاضرة مقدمة للملتقى الدولي حول سوسيولوجية المجتمعات الواحية (أشكال التحول و الاستقرار)، أدرار ، سنة 2000، ص6

(3 3)–مقدم مبروك ، نفس المرجع ،ص7

(34)–نفس المرجع ، ص8